ـ ترجمات الكتابات الثورية الرئيسية كافة من ماركس الى ماركوزه بالاضافة الى التعليقات والتاريخات والتحليلات الثورية . الا ان الممارسة في التجربة الفلسطينية سارت سيرا مستقلا عن النظرية المنظومة وتلكات وراء الممارسة . وفي حين لم يكن من الممكن التمييز بين النظرية ومجرد الكلام اتخذت الممارسة صورة العمل العفوي غير المنظم .

ان حمل البندقية اعطى بالتاكيد دروسا لم تكن اي نظرية بمفردها قادرة على اعطائها . ولم تظهر الايام الاولى للمقاومة ما تستطيع الارادة ان تولده فقط بل اكدت ايضا ان العمل الثوري هو الطريق الوحيد الى التحول الذاتي . واصبح واضحا ان لا شيء يستطيع تحرير المجتمع من قيوده غير القوة الكامنة في جماهير هذا المجتمع المقهورة والمستغلة . وهكذا رأينا الانسان العربي الجديد يبرز على صورة الفدائي الفلسطيني ، وتصورنا الثورة العربية تولد من تصاعد حركة المقاومة الفلسطينية .

وكانت الآثار المباشرة لهزيمة ١٩٦٧ هي تلك الفترة البطولية التي برزت فيها المقاومة الفلسطينية ، ونفثت شجاعة رجالها وتصميمهم حياة جديدة في نفوس الفلسطينيين والجماهير العربية كافة . وقبل ذلك لم يشعر الفلسطينيون في تاريخهم بالارتباط الشديد فيما بينهم . لقد عبر الفدائيون النهر للمرة الاولى خلال عشرين عاما واستطاعوا ان يضربوا العدو ضربات موجعة .

وفي اللحظة ذاتها التي بدا فيها ان المقاومة اوشكت ان تدخل مرحلتها الحاسمة سيطرت عليها تناقضات داخلية وخارجية شلت فاعليتها . وأمام عجز حركة المقاومة عن الاتحاد والاتفاق حول برنامج مشترك واستراتيجية مشتركة اصبحت الحركة عرضة لضربات قوى الثورة المضادة . وهكذا بدأت الضربات الاليمة المتتالية تتساقط عليها من قبل انظمة الحكم « الصديقة » والمعادية في صورة مستترة تارة وفي صورة علنية طورا الى ان جاء الهجوم الساحق في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ . وأخذ الاصدقاء والمؤيدون ينصرفون عن الحركة ، وبذلك انتهت فترة الشعور بالقوة والنشاط والعافية . وفجأة وجد الفلسطينيون انفسهم في عزلة وفي غربة عن مضيفيهم العرب يواجهون العدو وحيدين .

وعند عودتي في اوائل العام ١٩٧١ الى عمان في زيارتي الاولى لها بعد ايلول (سبتمبر) الماضي لاحظت ان مشاهد الازدحام الحية التي كانت تتميز بها عمان قبل برهة قصيرة قد غابت . وعادت عمان ثانية البلدة التي عرفت في العام ١٩٤٩ عشية الهزيمة الاولى : بلا وجه ، ومهجورة ، ومقهورة . ان تواجد جنود البادية في كل مكان ـ في المطار وفي المباني الحكومية وعلى كل مفترق طرق ـ كان يعزز جوا بربريا يخيم على كل شيء .

لقد كان الجو جافا وباردا عندما حطت الطائرة التي اقلتنا الى مطار عمان حيث حضرنا لنناقش زعماء مختلف المنظمات حول مخططات الوحدة التي وضعها مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية كي تطرح في الاجتماع المقبل للمجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة . وجرى لنا استقبال حار في المكاتب التي اصبحت الآن هادئة وشبه مهجورة . وكان الناس أشد رغبة في التحدث من الاستماع . وكان لدى كل جماعة وكل مسؤول صورة خاصة لما حدث وللخطأ الذي وقع وصورة لعلاج الوضع . ولم تعد هناك تلك الحماسة والثقة الفخورة بالنفس التي تركت في نفسي اثرا عميقا في زيارتي الاولى لمنظمات المقاومة في العام ١٩٦٩ . لقد أخذ الانهاك نصيبه وذهب الزهو وظهر في الجو ذلك الشعور بالضياع الذي ساد الساحة الفلسطينية قبل العام ١٩٦٧ . وبدا الناس في المخيمات والمكاتب قلقين ومرتابين : يلومون ويغتابون بعضهم بعضا ويتبادلون التهم ، انها عادات المهزومين والمنكوبين . انني لم اسمع من قبل بمثل هذا العدد الكبير من الاشخاص الذين يتهمون بجرائم رهيبة مثل الجاسوسية والتواطؤ مع